كلام بدون عمل
وعمل بدون كلام

للقس اغسطينوس حنا

ذكر الرب يسوع له المجد مثلين مختلفين في انجيلي متى ولوقا كل منهما عن أب كان له ابنان واشهرهما هوالمثل المعروف بالإبن الضال (لوقا ١٥) وإن اختلف المثلان في الوقائع الا ان مضمونهما واحد تقريباً.

وأريد أن اتناول الآن المثل الأول المذكور في انجيل متى ويقول "**ماذا تظنون. كان لإنسان ابنان فجاء إلى الأول وقال يا ابني اذهب اليوم اعمل في كرمي. فأجاب وقال ما اريد. ولكنه ندم أخيراً ومضى. وجاء إلى الثاني وقال كذلك. فأجاب وقال ها أنا يا سيد ولم يمضي. فأي الإثنين عمل إرادة الآب؟ قالوا له الأول. قال لهم يسوع الحق أقول لكم ان العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله**...الخ (متى ٢١:٢٨).

ان الأب في المثل هو الله، الآب السماوي والابنان يمثلان اليهود والأمم والابن الأول الذي قال لا أريد وبدأ بالعصيان والضلال ثم ندم وتاب وذهب، يمثّل الأمم (أي غيراليهود). بينما الإبن الثاني الذي تظاهر بالطاعة وقال ها انا يا سيد ولكنه لم يمض فيمثّل اليهود.

ولكن المثل له جوانب اخرى والذي يعنينا نحن انه يمكن ان ينطبّق علينا نحن أيضاً من الناحية الروحية. فالإبن الأول الذي قال لا أريد ثم ندم ومضى وعمل ارادة ابيه (كما انتزع المسيح هذا الإقرار من فم اليهود أنفسهم الذين سمعوه) يمثّل العمل لأنه ندم وتاب وذهب يعمل في كرم ابيه وعمل ارادة أبيه في النهاية فعلاً. أمّا الإبن الثاني الذي تكلم أقوالاً معسولة تدل على الإستعداد لكن بدون تنفيذ لأنه لم يمض، فيمثل الكلام بدون عمل. **والسؤال الآن ... أيهما أفضل كلام بدون عمل أم عمل بدون كلام؟.**

لا شك ان جوابنا سيكون عمل بدون كلام أفضل من كلام بدون عمل. ولكنني اقول لكم يا اخوتي الأعزاء ان

الأفضل من الإثنين هو العمل والكلام معاً لأن من عمل وعلّم فهذا يُدعى عظيماً "في ملكوت السموات" (مت ١٩:٥).

أولاً: الكلام بدون عمل:

١- المحبة بالكلام وليس بالعمل:

يقول الرسول يوحنا "يا اولادي لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق وشرح ذلك بقوله: نحن نعلم اننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة. من لا يحب أخاه يبقي في الموت. كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس وليس له حياة ابدية... من نظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه" (١يو ٣:١٤-١٨). ان المحبة التي بالكلام واللسان فقط هي محبة كاذبة مزيفة، رخيصة ومنافقة. المحبة التي لا تغفر ولا تنسى أخطاء الآخرين ولا تضحى ولا تساعد ولا تخدم ليست بمحبة أصلاً... انها كلام بدون عمل "ها انا يا سيد ولم يمضي." المحبة الكلامية مثل عدمها. انها نحاس يطن وصنجا يرنّ.

٢- اكرام الرب بالشفتين فقط:

يقول الرب حزيناً "هذا الشعب يكرمني بشفتيه أما قلبه فمبتعد عني بعيداً (اش ٢٩:١٣، مت ١٥:٨). ان الرب يطلب القلب والاخلاق والأمانة في السلوك المسيحي والعبادة بالروح والحق والخدمة الحقيقية وليس المظهرية، وطاعة وصاياه والعمل بها فهذا هو الاكرام الحقيقي. وأما اكرام الشفتين فقط فهو مكروه من الله ومرفوض اذا خلا من العمل او تعارض معه. "ها أنا يا سيد ولم يمضي".!

٣- الافتخار الكاذب:

اعتاد اليهود على الافتخار الكاذب فقالوا "نحن تلاميذ موسى ...نحن ذرية ابراهيم .. نحن لم نستعبد لأحد

قط..الخ" وقد ردّ عليهم السيد المسيح "لو كنتم اولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم" (يو ٨:٣٩). وعرّفنا ان المقياس الحقيقي هو الأعمال وليس الكلام. وأما زعمهم بأنهم لم يستعبدوا قط فهوافتخار كاذب ايضاً اذ سبق ان استعبدوا لفرعون ولبنوخذ نصر وغيرهم وفي أثناء افتخارهم هذا كانوا مستعبدين للرومان. ليتنا نكف عن كلام الافتخار الأجوف لأن اصحاب الأعمال العظيمة لا يفتخرون الا بالرب وبضعفاتهم. الإفتخار طنطنة كلامية بدون عمل.

٤- الشخصية المزدوجة:

قال اسحق متحيّراً بعد أن فقد بصره وجسّ ابنه: "**الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو**" (تك ٢٧:٣٣)! **وإذا كان الصوت يمثل الكلام فاليدان تمثلان الأعمال**. ان شخصية دكتور جيكل ومستر هايد المزدوجة لا تصلح في الحياة المسيحية او الحياة الروحية ولا بد ان يسقط عنها القناع وتنكشف لوجود تناقض كبير بين الكلام والأعمال. ولذلك وبّخ السيد المسيح الفريسيين بشدة لأنهم مراؤون لا يعملون بما يُعلمّون (متى ٢٣).

٥- حياة الانتقاد والادانة:

ان الذي يكثر انتقاد الآخرين وادانتهم ومحاسبتهم على كل صغيرة وكبيرة دون ان يحاسب نفسه او يشعر بعيوبه الشخصية، هو انسان كثير الكلام الباطل عديم الأعمال في نظر الله مهما عمل. لأن كلامه يفسد اعماله ويضيع اجره ويعرّضه لغضب الله ودينونته ورفض أعماله فيصير كلاماً بدون عمل وبدون ثمر. ان الكلام بدون عمل هو كشجرة التين المملوءه بالورق بدون ثمر التي لعنها السيد، وإذا كان الايمان نفسه بدون أعمال ميت، فان الكلام أيضاً بدون أعمال ميت. "قال ها أنا ...ولم يمض".

ثانيا . . . عمل بدون كلام:

١. المحبة المسيحية الباذلة:

"ليس لأحد حب أعظم من هذا ان يبذل نفسه من اجل احبائه" (يو ١٥) ان الرب صاحب أعظم حب وتضحية لم يكتفي بالكلام ولم يتفاخر ولم يعيّر. وعندما احب يعقوب راحيل خدم من اجلها أربعة عشر سنة مضت في عينية كأيام قليلة (تك ٣١:٤١). فلا نحب بالكلام بل بالعمل والحق (١ يو ٣:١٨). ان هذا درس هام يحتاجه كل زوجين او اخوة متخاصمين. ان علاقة المحبة الحقيقية هي العمل الباذل الكثير والكلام القليل، كما ان اعمال المحبة تخنق الكلام القبيح و النكد.

٢. العطاء المسيحي:

مغبوط هو العطاء اكثر من الأخذ (اع ٢٠:٣٥). "ومتى صنعت صدقة فلا تعرّف شمالك ما تفعل يمينك" (متى ٦:٣). انه عمل بدون كلام. ان قرص شهد العسل يقدم حلاوته للجميع في صمت وبدون طلب.

٣. القدوة المسيحية الصالحة:

يقول الرب يسوع "فليضيء نوركم هكذا قدّام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السموات" (مت ٥:١٦). ان أعظم نور ممثلاً في الشمس يعمل في صمت فالشمس التي تحيي الإنسان والحيوان والنبات بحرارتها ونورها لا تتكلم ولا يسمع أحد لها صوتاً. والملح الذي يذوب ليعطي للطعام طعماً لا يتكلم هو الآخر ولكن عمله وتأثيره ظاهر وفعّال، والوردة التي تقدم رائحتها الحلوة للجميع حتى للذين يقطفوها أو يدوسوها لا تتكلّم. وهكذا كانت حياة الأم العذراء مريم عملاً عظيماً في صمت بدون كلام إذ "كانت تحفظ جميع هذه الأمور في قلبها" (لو ٢:٥١). فإذا لم نستطع أن نجعل عملنا بدون كلام فعلى الأقل ليت أعمالنا تكون أكثر من كلامنا ولا تتناقض معه.

ثالثاً . . . العمل الصالح والكلام الصالح معاً:

أن أفضل الكل ان تكون لنا اعمال المحبة وكلام المحبة معاً. . . وأن يكون لنا اعمال الرحمة وكلام الرحمة معاً. . . وأن يكون لنا عمل الخير مقروناً بكلام الخير واللطف والمعروف والتشجيع معاً . . . وأن تكون لنا حياة التضحية والاتضاع مع كلام الصفح والبنيان معاً. . . لأن من عمل وعلّم فهذا هو الأعظم.

أن صوت الأعمال أعلى من صوت الكلام، سواء في الخير او في الشر. فأعمال الخير والفضيلة تؤثر في الناس أكثر من الكلام، ويحتاجها العالم أكثر من الكلام، ويطلبها الله أكثر من الكلام.

كما ان أعمال الشر أخطر من الكلام. . . فإذا فعل الإنسان الشر وتكلّم بالخير سقط من نظر الله والناس.

أما عن الله فيقول المزمور "وللشرير قال الله مالك تُحدثُ بفرائضي وتحمل عهدي على فمك؟ وأنت قد ابغضت التأديب وألقيت كلامي خلفك. إذا رأيت سارقاً وافقته ومع الزناة نصيبك. أطلقت فمك بالشر ولسانك يخترغ غشاً. تجلس تتكلم علي أخيك. لإبن امك تضع معثرة (مز ٥٠:١٦).

وبّخ السيد المسيح الفريسيين قائلاً: "يا اولاد الأفاعي كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وانتم أشرار" (مت ١٢:٣٤). وبالنسبة للناس، قال امرسون لأحد هؤلاء "ان صوت أعمالك أعلى من صوت كلامك فلذلك لا اقدر ان أسمعك"!

ولذلك وضع الرب العلاج بجعل الشجرة والثمرة معاً او القلب والفم معاً صالحين فيخرج الكلام الصالح من القلب الصالح ويتفق معه في هارموني وانسجام.

St. John's Coptic Orthodox Church
Tel. (909) 592-8847 (562) 900-2695
Email: frhanna@mystjohn.org *Website: www.mystjohn.org*